﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥﴾ [الحجّ: 5]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ارتباطُ الآية بإثباتِ البعث وعرضِ نُموِّ البَشَر واستنباتِ النّزعِ

العلاقةُ بين هذه الآية وما سبقَها مِن آيات، وثيقةٌ غايةَ الوثاقة، ذلك أنّ الله تعالى لمّا ذكر حالَ مَن يجادِلُ في الله بغير علم، ويُنكرُ البعثَ والمَعاد، ويتّبعُ خُطواتِ الشّيطان المَريد، الّذي حذّره مِن عاقبة اتّباعه، ذَكَر في هذه الآية الدّلائلَ على قُدرته، بما هو مُبْصَر مشاهَدٌ، مِن بَدْءِ الخَلْق، والمراحلِ الّتي يمرّ بها البشرُ منذ التّكوين، إلى بلوغ الأشُدّ، ثمّ الرّجوعِ إلى الله بالوفاة، أوِ التّعميرِ إلى أرذل العُمُر، ليرتدَّ الإنسانُ كما بدأ، غيرَ عارفٍ ولا واعٍ بشيء، بعد أن كان ذا علم وعرفانٍ، ثمّ يسوقُ مثلًا آخرَ للأرض الّتي ينزلُ عليها الماء، فتخضرّ وتُزهِر، وتُنبِت وتُثمِر، وتعطي ما يَسُرّ النّاظرين، ويُشْبِعُ الآكلين، مِن خُضْرة وبَهْجة، ونباتٍ وثمار، ولا غَروَ أنّ النّموذجين كليهما، دالّان على قُدْرة الله، وعطائه، وتصرّفِه في المخلوقات إيجادًا وإعدامًا.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡبَعۡثِ﴾: (بعث) أصْلٌ واحِدٌ، وهو الإثارَةُ[1]، والمعنى المحوريُّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بعث).

هو: إثارةُ (الحيّ) مِن مكان يَلْزَمه بقوّة، فيندفعُ ناهضًا أو مبتعدًا، كبعث النّائم والبعير، ومِن ذلك: بَعْثُ الموتى من القبور: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: 52]، وهو في كلّ القرآن بهذا المعنى[1]، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ [الرّوم: 56].

2) ﴿نُّطۡفَةٖ﴾: (نطف) أصلان؛ أحَدُهُما: جِنْسٌ مِنَ الحَلْي، والآخَرُ: نُدوةٌ وبَلَلٌ، ثُمَّ يُسْتَعارُ ويُتَوَسَّعُ فيه، فالأوَّلُ: النَّطَفُ، يُقالُ: هو اللُّؤْلُؤُ، الواحِدَةُ نَطَفَةٌ، ويُقالُ: بَلِ النَّطَفُ: القِرَطَةُ، والأصْلُ الآخَرُ: النُّطْفَةُ، وهي الماءُ الصّافي، ولَيْلَةٌ نَطوفٌ: مَطَرَتْ حَتَّى الصَّباحِ، والنِّطافُ: العَرَقُ، ثُمَّ يُسْتَعارُ هَذا فَيُقالُ النَّطَفُ: التَّلَطُّخُ، ولا يَكادُ يُقالُ إلّا في القَبيحِ والعَيْبِ، ويُقالُ نَطِفٌ، أي: مَعيبٌ، ونَطِفَ الشَّيْءُ: فَسَدَ[2]، ويُعَبَّرُ بها عن ماء الرَّجُل، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣﴾ [المؤمنون: 13]، وقال: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ [الإنسان: 2]، وقال: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧﴾ [القيامة: 37][3]، وهو المراد بالآية.

3) ﴿عَلَقَةٖ﴾: (علق) أصْلٌ كَبيرٌ صَحيحٌ، يَرْجِعُ إلَى مَعْنًى واحِدٍ، وهو أنْ يُناطَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ العالي، ثُمَّ يَتَّسِعُ الكَلامُ فيهِ[4]، والمعنى المحوريُّ: نشوبٌ أو امتساكٌ، مع ارتفاعٍ وغِلظ ما، كعَلَقَ البكرة، وحبالة الصّيد ينشب فيها الصّيد، والسّيفُ ونحوه يمتسك بالعِلاقة إلى الوتد في الحائط، والعلقةُ المتحوّلة مِنَ النّطفة: الدّمُ الجامد المتماسك؛ لأنّها تَعْلَق بجِدار الرّحم، وجمعُها عَلَقٌ، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾ [العلق: 2][5].

4) ﴿مُّضۡغَةٖ﴾: (مضغ) أصْلٌ صَحيحٌ، وهو المَضْغُ لِلطَّعام، ومَضَغَهُ يَمْضُغُهُ، والمَضاغُ: الطَّعامُ يُمْضَغُ، والمُضاغَةُ: ما يَبْقَى في الفَم مِمّا يُمْضَغُ، والمُضْغَةُ: قِطْعَةُ لَحْم، لِأنَّها كالقِطْعَةِ الَّتي تُؤْخَذُ فَتُمْضَغُ، والماضِغانِ: ما انْضَمَّ مِنَ الشِّدْقَيْنِ[6]، وإذا صارَتِ العَلَقَةُ الَّتي خُلِقَ مِنْها الإنسان لحْمَةً، فَهي مُضْغَةٌ[7]، فالمضغةُ: الحالةُ الّتي ينتهي إليها الجنينُ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بعث).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نطف).
(3) الرّاغب، المفردات: (نطف).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علق).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (علق).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مضغ).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللغة: (مضغ).

بعد العلقة، قال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: 14]، وقال: ﴿مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾[1].

5) ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾: (خلق) أصْلانِ؛ أحَدُهُما: تَقْديرُ الشَّيْءِ، والآخَرُ: مَلاسَةُ الشَّيْءِ.

فَأمّا الأوَّلُ فَقَوْلُهُمْ: خَلَقْتُ الأديمَ لِلسِّقاءِ، إذا قَدَرْتَ، ومِنْ ذَلِكَ الخُلُقُ، وهي السَّجيةُ، لِأنَّ صاحِبَهُ قَدْ قُدِّرَ عَلَيْهِ، وفُلانٌ خَليقٌ بِكَذا، وأخْلِقْ بِهِ، أي: ما أخْلَقَهُ، أي: هو مِمَّنْ يُقَدَّرُ فيهِ ذَلِكَ، والخَلاقُ: النَّصيبُ؛ لِأنَّهُ قَدْ قُدِّرَ لِكُلِّ أحَدٍ نَصيبُهُ، ومِنَ البابِ رَجُلٌ مُخْتَلَقٌ: تامُّ الخَلْقِ، وأمّا الأصْلُ الثّاني: فَصَخْرَةٌ خَلْقاءُ، أي: مَلْساءَ[2]، ويُستعملُ في إبداع الشّيء مِن غير أصلٍ ولا احتذاء، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: 1]، أي: أبدعَهما، بدلالة قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: 117]، ويُستعملُ في إيجاد الشّيء مِنَ الشّيء نحو: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النّساء: 1]، وليس الخَلْقُ الّذي هو الإبداعُ إلّا للّه تعالى[3]، والمُخَلَّقَةُ: المُسَوّاةُ المَلْساءُ لا نَقْصَ ولا عَيْبَ فيها[4].

6) ﴿ٱلْأَرْحَامِ﴾: (رحم) أصْلٌ واحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى الرِّقَّةِ والعَطْفِ والرَّأفَةِ، يُقالُ مِنْ ذَلِكَ: رَحِمَهُ يَرْحَمُهُ، إذا رَقَّ لَهُ وتَعَطَّفَ عَلَيْهِ، والرُّحْمُ والمَرْحَمَةُ والرَّحْمَةُ بِمَعْنًى، والرَّحِمُ: عَلاقَةُ القَرابَةِ، ثُمَّ سُمّيتْ رَحِمُ الأُنْثَى رَحِمًا مِنْ هَذا، لِأنَّ مِنْها ما يَكونُ ما يُرْحَمُ ويُرَقُّ لَهُ مِنْ ولَدٍ[5]، وامرأةٌ رَحومٌ: تشتكي رَحِمَها، ويقال: رَحِمٌ ورُحْمٌ، قال تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف: 81] والمرادُ بـ ﴿ٱلْأَرْحَامِ﴾ في الآية: أرحامُ النّساء، جمعُ رحمٍ.

7) ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: (رذل) يدلُّ على ضعف وهُزال، فالرَّذْلُ: الدّونُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وكَذَلِكَ الرُّذالُ[6]، فقوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أي: حيثُ تذهبُ الصّحّة والقوّةُ، ولا يبقى إلّا الثِقَلُ وضَعْفُ الجسم والعقل، ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحجّ: 5]، ومثلُها قولُه: ﴿۞قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشّعراء: 111]، وقولُه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ

(1) الرّاغب، المفردات: (مضغ).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلق).
(3) الرّاغب، المفردات: (خلق).
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 477.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رحم).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رذل).

﴿أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ [هود: 27]، يقصدون بالأرذلين والأراذل: ضعفاءَ القَدْرِ والقيمة، الّذين لا يُعتدُّ بآرائهم ولا مواقفِهم، أي: في رأي الكفرةِ[1]، فأرذلُ العمر: هو أخسُّه وأحقرُه[2]، وهو المرادُ في الآية.

8) ﴿هَامِدَةً﴾: (همد) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خُمودِ شَيْءٍ، وهَمَدَتِ النّارُ: طَفِئَتِ البَتَّةَ، وأرْضٌ هامِدَةٌ: لا نَباتَ بِها، ونَباتٌ هامِدٌ: يابِسٌ، والإهْمادُ: الإقامَةُ بِالمَكانِ[3] والمرادُ بـ ﴿ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً﴾ في الآية: الّتي لا نباتَ بها.

9) ﴿وَرَبَتۡ﴾: الرّبْوةُ والرّباوة والرّابية والرّباة والرّبْو: كلُّ ما ارتفع مِنَ الأرض، ورَبَتِ الأرضُ: زادت وانتفخت، والمعنى المحوريُّ لمادّة (ربو أو ربي): نموُّ الشّيء مستغلِظًا مُرتفعًا، كالرّابية ورَبْو الأرض، ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾ انتفخت فارتفعت ﴿كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ﴾ [البقرة: 265]، ومثلُها: ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ﴾ [الرّعد: 17] طالعًا عاليًا مرتفعًا فوق الماء، ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ١٠﴾ [الحاقّة: 10] نامية شديدةً[4].

10) ﴿بَهِيجٍ﴾: (بهج) أصْلٌ واحِدٌ، وهو السُّرورُ والنَّضْرَةُ، يُقالُ: نَباتٌ بَهيجٌ، أي: ناضِرٌ حَسَنٌ، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧﴾ [ق: 7]، والابْتِهاجُ السُّرورُ مِنْ ذَلِكَ أيْضًا[5]، والمعنى المحوريُّ لهذه المادّة، هو: انشراحُ الصّدر وسرورُه لبديع منظرٍ، ناشئٍ مِن باطن، كالشّحم في السّنام، وهو مستحبٌّ منظرًا ومَخبرًا، ويبدو كأنّه ناشئٌ من البدن، وكالنّور، وهو طريٌّ بديعُ اللّون ناشئٌ من أثناء النّبات، والمنظرُ الحسن يُقِرّ العين ويسُرّ النّفسَ، والّذي ورد في القرآن من استعمالات التّركيب ثلاثةُ ألفاظ تصفُ النّبات: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾ [النّمل: 60]، ﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾، ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧﴾ [ق: 7][6].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رذل).
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 126.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (همد).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ربو).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بهج).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بهج).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الـحـديـثُ عن مراحلِ الخِلقةِ البشريّةِ وإنباتِ الـنّـبـاتِ بـدقّـةٍ متناهيةٍ

نداءٌ للنّاس المُنكرين للبعث، المُجادِلين فيه بغير علم، بقوله: إن كنتم في شكٍّ في إمكانِه وحصولِه، فلا مجالَ لإنكاركم ولا لِشَكِّكُم، فإنّا خلقناكم في أصل الخِلقة الأولى مِن ترابٍ، ثمّ قدَّرنا أن يكون خلقُكم مِن نُطفةٍ، ثمّ مِن علقةٍ، ثمّ مِن مُضغةٍ، ينشأُ عنها جنينٌ كاملُ التّكوين، فنثبّتُ في الأرحام ما نشاءُ بقاءَه، ونُسقطُ منها ما نشاء فناءَه، ثمّ تَخرجون طفلًا، ثمّ لا تلبثون أن تبلغوا أشُدَّكم، ليموت مَن يموتُ، بعد عمرٍ يُطوى ويفوتُ، ويعمّرُ مَن قُدّر له أن يُعمّر، ليبلغ منتهَى العُمُر، ويصلَ إلى أرذلِه، فتداهمُه الأعراضُ، وتنخرُ في جسمه الأمراضُ، فيبلغ مِنَ الكبر عتيًّا، ويردُّ إلى أرذل العُمُر، لكي لا يعلمَ مِن بعد علم شيئًا، ومقابلَ هذا، فإنّ مثالَ خَلْق الإنسان، يُشْبِهُ خَلْق النّبات المُزدان، حيثُ نرى الأرضَ هامدةً لا حركة فيها ولا نبات، فإذا تهاطلت عليها الأمطارُ الغزارُ، وأصابها الغيث النّافعُ الغدقُ، دبّت فيها الحياةُ، وانشقّت عن مختلف أصنافِ النّبات، وعلا فيها مورقُ الشّجر، وآتت أُكُلَها ضِعفين مِن مختلف أنواع الثّمر، وفي المثالين دلالةٌ على قدرة اللّه الخالق، الّذي خلقَ فسوّى، وقدّرَ فهدى، وكلُّ ذلك صنعُ اللّه الّذي أتقن كلَّ شيء.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ نداءِ النّاس في مَطلع هذه الآية:

أسلوبُ النّداءِ منهجٌ في التّواصل تُفْتَح له القلوبُ وتتفاعلُ معه العقولُ

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ جملةٌ مِنَ القضايا اللّغويّة والبيانيّة الّتي مَرّت في بداية السّورة، ومِن أهمّها: النّداءُ بـ (يا) الّتي لم يأت غيرُها مِن أدوات النّداء في القرآن الكريم، و(يا) حرفٌ وُضِعَ في أصله لنداء البعيد، ثمّ استُعمِل في مناداة مَن سها وغفلَ وإن قَرُب، تنزيلًا له منزلةَ مَن بَعُد؛ للتّأكيد المُؤْذِنِ بأنّ الخطاب

الّذي يتلوه معنيٌّ به جدًّا[1]، ونداءُ اللّه تعالى للمؤمنين لا يُتصوّرُ فيه إلّا أن يكون مِن إنزال القريبِ منزلةَ البعيد؛ ليتنبّهوا ولا يَغفلوا، وهو مظهرٌ مِن مظاهر التّوكيد.

نُكْتَة استعمالِ (أيّ) في السّياق:

ذُكِرَ المُنادَى مرّتين؛ مرّةً بكونِه منادًى وأخرى بذِكْره بدلًا أو صفةً

(أيّ) الّتي قالوا عنها: إنّها تأتي في حالات محدّدةٍ، منها: أن تكون وصلةً لنداء المُعرَّف بـ(أل)[2]، إذ إنّنا لا يصحُّ أن نقول: يا الرّجل، بل: يا أيّها الرّجل[3]، فهنا مظهرٌ آخرُ مِن مظاهر التّوكيد، في ذكر المُنادَى مرّتين، مرّةً بكونه وصلةً للمُنادى، ومَرّةً بذِكْر المُنادَى بعدَه، على أن يكون صفةً أو بدلًا منها.

نُكْتَةُ استعمالِ حرفِ التّنبيه في السّياق:

استعمالُ الحرف في السّياق ضامنٌ لمُلَح الاتّساق

مَجيءُ (الهاء) للتّنبيه هنا، مظهرٌ آخرُ مِن مظاهر التّوكيد في هذه الجملة، وهي نعتٌ آخرُ للمُنادَى، لكونه هو المقصودُ بالنّداء[4].

بلاغةُ التّأكيد بأسلوب النّداءِ بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾:

أهميّةُ لفْتِ الانتباه بصيغة النّداءِ المُنتقاة

فظهر بذلك أنّ هذا التّركيبَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، قد حُفَّ بسلسلةٍ مِنَ المُؤكِّدات الّتي تسترعي عند سماعها أن تُصغيَ لها بأُذنِك، وتفتحَ لها قلبَكَ، وتستعدَّ بعدَها لتلقّي أمرٍ أو نهيٍ مِنَ اللّه سبحانه وتعالى.

بيانُ المَقصودين بالنّداءِ في السّياق:

الخطابُ يَعُمُّ جميعَ المُكلَّفين بطريق التّغليب

النّداءُ بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: خطابٌ يَعُمّ حُكْمُه المُكلّفين عند النّزول، ومَن سينتظمُ في سِلْكهم بعدُ مِنَ الموجودين القاصرين عن رُتبةِ التّكليف، والحادِثين بعدَ ذلك إلى يوم القيامة، لكن لا بطريق الحقيقة عندنا، بل بطريق التّغليب، أو تعميمِ الحُكْم بدليلٍ خارجيّ[5].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/ 121.
(2) ابن هشام، مغني اللّبيب: 1/ 92.
(3) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 1/ 185 - 186.
(4) ابن هشام، مغني اللّبيب: 2/ 402.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 106.

معنى (أل) في لفظ ﴿ٱلنَّاسُ﴾:

تخصيصُ الخطابِ بالمشركين؛ لإقامة الحُجّةِ عليهم

أفاد تعريفُ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ هنا الاستغراقَ لكلّ مَن يَصْلُحُ أن يُطلق عليه لفظُ إنسان، ويمكنُ أن يكون التّعريفُ هنا للعهد الذّهنيّ، ويكونَ دخولُ المشركين في هذا الخطاب أظهرَ مِن دخولهم في الخطاب السّابقِ؛ لأنّهم الّذين أنكروا البعثَ، فالمقصودُ الاستدلالُ عليهم، ولذلك قيل: إنّ الخطابَ هنا خاصٌّ بهم[1].

بلاغةُ التّعبير بالجملةِ الشّرطيّةِ:

تعلّقُ تحقّقِ الجوابِ بحصول الفعلِ مُفصحٌ عنِ المُراد

التّعبيرُ بالجملةِ الشّرطيّةِ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾، أبلغُ في الدّلالة مِنَ الجملة الخبريّةِ؛ لأنّ الجملةَ الشّرطيّةَ تعلّقُ نتيجةٍ على سببٍ، أو تَربطُ تحقّقَ جوابِها بحدوث فعلِها، فالأمرُ بالنّظرِ إلى أصل خِلقتهم مِن تراب مترتّبٌ على كونهم في ريبٍ مِنَ البعث.

نُكْتَةُ التّعبير بـ ﴿إِن﴾ الشّرطيّةِ:

إنزالُ الأمرِ المُحقَّقِ منزلةَ غيرِ المُحَقَّقِ بالمطابقةِ بينَ المقالِ والحالِ

استعمالُ ﴿إِن﴾ الشّرطيّة الّتي يُؤتَى بها للأمر المَشكوكِ بوقوعه، بخلاف (إذا) التّي يُؤتَى بها للأمر المُحقَّق، مع أنّ المشركين يقعون فعلًا في هذا الرَّيب من شأن البعث في كلّ زمانٍ ومكان، هو مِنَ الخروج عن مقتضى الظّاهر إلى مقتضى الحال لغرضٍ بلاغيٍّ، يقول أبو السّعود: "وتصديرُه بكلمة الشكِّ للإشعار بأنّ حقَّه أن يكون ضعيفًا مشكوكَ الوقوع، وإمّا للتّنبيه على أنّ جزمَهم ذلك بمنزلة الرَّيب الضّعيف؛ لكمالِ وضوحِ دلائلِ الإعجازِ ونهايةِ قوّتها"[2]، ويضيفُ ابنُ عاشور: "وَجُعِلَ رَيْبُهُمْ في البَعْثِ مَفْروضًا بِـ ﴿إِن﴾ الشَّرْطيةِ، مع أنَّ رَيْبَهُمْ مُحَقَّقٌ؛ لِلدّلالةِ على أنَّ المَقامَ لَمّا حَفَّ بِهِ مِنَ الأدِلَّةِ المُبْطِلَةِ لِرَيْبِهِمْ، يُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ مَقامِ مَن لا يَتَحَقَّقُ رَيْبُهُ، كما في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 196.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/ 63.

قوله تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ ۝٥﴾ [الزّخرف: 5][1]، والشّكّ في موضع اليقين تهكّمٌ بهم؛ لأنّ ﴿إن﴾ تشكّكُ في الماضي المتحقّق، وتجعلُه بمنزلة المستقبل المُتردّدِ، في ذِكْر أساس الخَلْق، فإنّ المذهب الكلاميَّ: إيرادُ الحُجّة عند المخاطَب[2].

بلاغةُ فعلِ ﴿كُنتُمۡ﴾ مع الرّيب:

البعثُ يقينٌ لا يشوبُه رَيبٌ على الإطلاق

قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ﴾، ولم يقل: (إنِ ارْتَبْتُمْ)؛ للمبالغة في تنزيه أمر البعثِ عن شائبة وقوعِ الرَّيب فيه، والإشعارِ بأنّ ذلك إنْ وقع فمِن جهتهم، لا مِن جهته العاليةِ، واعتبارِ استقرارِهم فيه، وإحاطتِه بهم[3].

بلاغةُ الاستعارةِ التّصريحيّةِ في السّياق:

إحاطةُ الرَّيب بهم تعبيرٌ عن إنكارهم للبعثِ

قولُه تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ﴾، شبّهتِ الجملةُ إحاطةَ الرَّيب بهم، وملابستَه لهم، بإحاطة الظّرف بالمَظروف، بجامع الشّمولِ والاستغراق، على سبيل الاستعارةِ التّصريحيّة التّبعيّةِ، فكأنّ الرَّيبَ قد أحاط بهم مِن كلّ جانبٍ.

نُكْتَةُ تنكيرِ لفظِ ﴿رَيۡبٖ﴾ في السّياق:

تنزيهُ أمرِ البعث عن شائبةِ الرّيب

أفاد تنكيرُ الرّيب التّقليلَ والتّحقيرَ مِن شأنه؛ لأنّه ينبغي أن لا يكونَ في شأن البعث البتّةَ، والتّعبيرُ عنِ اعتقادِهم في حقِّه بالرَّيبِ، مع التَّنكيرِ المُنبىءِ عنِ القلّةِ، مع أنَّهم جازمون باستحالته وإيرادِ كلمة الشَّكِّ، مع تقرّرِ حالِهم في ذلك، وإيثارِ ما عليهِ النّظمُ الكريمُ، عَلى أنْ يقالَ: (إنِ ارتبتُم في البعثِ)؛ للمبالغة في تنزيه أمر البعثِ عن شائبةِ وقوعِ الرّيب فيه[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 196.
(2) الأندونيسيّ، الشّامل في بلاغة القرآن: 2/ 309.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/ 63.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 93.

معنى ﴿مِّنَ﴾ و(أل) في قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾:

إفادةُ التّعلّق بمحذوفٍ واصفٍ للرّيب في البعث

يقول الآلوسيّ: "و﴿مِّنَ﴾ ابتدائيّةٌ متعلّقةٌ بمحذوف وقعَ صفةً للرّيب، واستُظْهِرَ أنّ المرادَ: (في ريب مِن إمكان البعث)؛ لأنّه الَّذي يقتضيه ما بعدُ، وجوزَ أن يكون المرادُ: (من وقوع البعث)"[1].

معنى (أل) في لفظ ﴿ٱلۡبَعۡثِ﴾:

البعثُ المرادُ في السّياق هو البعث بعد الموت

أفاد تعريفُ ﴿ٱلۡبَعۡثِ﴾ العهدَ الذّهنيَّ، أي: هو البعثُ مِنَ القبور بعد الموت؛ لِما دلّ عليه إنكارُهم له في مرّات عديدة.

معنى الفاء الرّابطةِ لجواب الشّرطِ:

الفاءُ تربطُ بينَ الدّليل وجوابِ الشّرط المحذوفِ أحيانًا

قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾، الفاءُ رابطةٌ لجواب الشّرط، أو هي عاطفةٌ على جواب الشّرط المحذوف؛ لأنّ ما جاء بعدَها لا يصلحُ أن يكون جوابًا لفعل الشّرط المُتقدّم، يقول الآلوسيّ: "وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾، دليلُ جوابِ الشّرط، أو هو الجوابُ بتأويل، أي: (وإن كنتم في ريب مِنَ البعث فانظروا إلى مَبدأ خلقِكم ليزولَ ريبُكم فإنّا خلقناكم)... الخ"[2]، فقد ردّ عليهم في شُبهتهم في شأن البعث بأن ينظروا إلى أصل خِلقتهم، وتطوّرِ أحوالها، فإنّ مَن قَدَر على خَلْقهم مِنَ العَدَم المَحْض، أقْدَرُ على إعادتهم بعد الموت، والكلُّ هيّنٌ عليه.

نُكْتَةُ إسنادِ الخَلْق إلى ضمير العَظَمةِ:

كفى الإنسانَ تكريمًا أن خلقَه تعالى بنفسه

قولُه تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم﴾، في إسنادِ الخَلْق إلى ضمير العَظَمة، إشارةٌ إلى تولّيه سبحانه وتعالى شؤونَ خَلْقِه بنفسه، دونَ أن يَكِلَهُ إلى غيره، وفي هذا ما فيه مِن رفعِ شأن خَلْق الإنسان، وتفضيلِه على غيره مِن خَلْق اللّه.

غرضُ تتابعِ المؤكّدات في السّياق:

كثرةُ أساليب التّوكيد نابعةٌ مِن أهميّة الموضوعِ

في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾، أكّد الجملةَ بـ(إنّ)

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 111.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 111.

والجملةِ الاسميّةِ، وتَكرارِ ذِكْرِ المُسنَدِ إليه، مرّةً على أنّه اسمُ (إنّ) ضميرُ العظمة، ومرّةً على أنّه فاعلُ ﴿خَلَقْنَٰكُم﴾؛ لأنّ المقام هنا استوجب التّأكيدَ؛ لأنّه يتعلّق بإثبات أمرِ البعث الّذي ينكرونه، ويأتي عددُ المُؤكّدات متناسبًا مع عِظَم هذا الرَّيب في نفوسهم.

معنى ﴿مِّن﴾ في المراحلِ الخَلْقيّةِ المذكورة:

حرف المعنى ذو أثرٍ في الدّلالة مفيدٍ

جاءت ﴿مِّن﴾ معَ المراحل الأربعِ الأولى، مِن مراحل الخَلْق السّبعةِ الّتي ذكرتها الآيةُ، وذلك في قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾، وهي مفيدةٌ معنى الابتداء، وتَكرارُها للتّوكيد[1]، أي: خلقًا يبدأ مِن تراب، ثمّ مِن نطفة ... وهكذا.

فائدةُ العدولِ مِن صيغة (مفْعولَة) إلى (فُعْلَة):

المَنحى الصّرفيّ فيه سعةٌ في استعمال الصّيغ الأنسبِ للدّلالة

في قوله: ﴿نُّطْفَةٍ﴾، و﴿عَلَقَةٍ﴾، جاءتا على وزن (فُعْلَة)، والمرادُ: (مفعولة)، أي: منطوفة، وممضوغة؛ وذلك لدعوة المخاطَبين للانشغال بأطوار التّخليق، الدّالّةِ على البعث والإبداع، وليس للانشغال بمَن نَطَفَها أو مَضَغَها، فقد تقدّم في أوّل الآية إسنادُ الخَلْق إلى ضمير العَظَمة في ﴿خَلَقْنَٰكُم﴾ [الحج: 5].

نُكْتَةُ تنكير المراحلِ الأربع الأولى:

مراحلُ خَلْقِ العظيم للإنسان عظيمةٌ

جاءتِ الألفاظُ المُعَبّرةُ عن مراحل الخِلْقة الأولى للإنسان منكّرةً، وهي: ﴿تُرَابٍ﴾، و﴿نُّطْفَةٍ﴾، و﴿عَلَقَةٍ﴾، و﴿مُّضْغَةٍ﴾؛ وذلك للتّعظيم والتّفخيم لشأنها، "فهذه أدوارُ خَلْق الإنسان في بطن أمّه، وما كان لأحد عِلْمٌ بهذه الأدوار التّكوينيّة، حتّى جاء العِلْمُ مِن بعدُ ببيانها، وعِلْمُ اللّه الّذي جاء في القرآن الحكيم، فوقَ كلّ علم؛ لأنّه العالمُ الخبير، والمُنشئ الخالقُ القدير، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14]"[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 197.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4944.

نُكْتَةُ التّعبير بـ ﴿ثُمَّ﴾ في مراحل الخَلْق:

إفـادةُ الحـرفِ التّراخي الرُّتبيَ والزّمنيَ

عبّرتِ الآيةُ الكريمةُ عن استقلاليّة كلِّ مرحلة من مراحل الانتقال بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾، الّذي أفاد التّراخيَيْن: الرُّتبي والزّمني معًا، وفي ذلك يقول أبو السّعود: "وفي جَعْلِ كلِّ واحدةٍ مِن هذه المَراتبِ مبدأً لخلْقِهم، لا لخلقِ ما بعدَها مِنَ المراتبِ، كما في قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ الآيةَ، مزيدُ دلالةٍ على عظيمِ قُدْرتِه تعالى، وكسرٍ لسَورةِ استبعادِهم"[1].

غرضُ التّقديمِ والتّأخيرِ في ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾:

أسـلـوب الاستدلالِ دقيقٌ في انتقاء البِنيةِ والاستعمالِ

قَدّمت الآيةُ (المُخَلّقةَ) على (غير المُخلّقة)، وفي ذلك قال ابنُ عاشور: "وقَدَّمَ ذِكْرَ المُخَلَّقَةِ عَلَى ذِكْرِ غير المخلّقة، على خِلافَ التَّرْتيبِ في الوُجودِ؛ لِأَنَّ المُخَلَّقَةَ أَدْخَلُ في الاِسْتِدْلالِ، وذَكَرَ بَعْدَهُ غَيْرَ المُخَلَّقَةِ؛ لِأَنَّهُ إكْمالٌ لِلدَّليلِ، وتَنْبيهٌ على أَنَّ تَخْليقَها نَشَأَ عَنْ عَدَمٍ، فَكِلا الحالَين دَليلٌ على القُدْرَةِ على الإنْشاءِ، وهو المَقْصودُ مِنَ الكَلامِ"[2].

نُكْتَةُ التّكرير في قوله: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾:

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكنْ

وقد جاءت هاتان اللّفظتان مضعّفتين؛ للدّلالة على سرعة تطوّرِ الخَلْق فيهما، وللمبالغة في إظهار كثرةِ الأعضاء المُختصِّ كلٌّ منها بخَلْقٍ وصورةٍ[3]، "وفي جعْلِ كلِّ واحدةٍ من هذه المراتبِ مبدأً لخلقِهم، لا لخلقِ ما بعدَها من المراتبِ، كما في قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ الآيةَ، مزيدُ دلالةٍ على عظيمِ قُدرتِه تعالى، وكَسْرٍ لسَورةِ استبعادِهم"[4].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 94.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 198.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 112.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 94.

معنى اللّام في قوله: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾:

تبيينُ معجزةِ الخلقِ إقناعٌ وبلاغٌ

اللّام في: ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾ هنا للتّعليل، وهي متعلّقةٌ بالفعل: ﴿خَلَقْنَٰكُم﴾، واللّامُ في ﴿لَكُمْۚ﴾، إمّا أن تكون للتّخصيص، أي: لكم دون غيركم، أو للتّعدية، والمعنى: "﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾ أصلَ نشأتكم، مع قُدرته تعالى على تكميل خَلْقِه في لحظة واحدةٍ، ولكن ليبيّنَ لنا كمالَ حِكْمتِه، وعظيمَ قُدرته، وسعةَ رحمته"[1].

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالمضارع في قوله: ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾:

آيةُ اللهِ في الخَلْقِ متجدّدةٌ على الدّوام

التّعبيرُ بالفعل المضارعِ هنا يُفيدُ التّجدُّدَ الاستمراريَّ، فخَلْقُ الإنسانِ متكرّرٌ حتّى قيام السّاعةِ، وعِلّتُه قائمةٌ متجدِّدَةٌ بتجدُّدِ هذا الخَلْق، وقولُه: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾: "أي: خلقناكم على هذا النّمط البديعِ، لنبيّنَ لكم جميلَ نظامنا، وعظيمَ حِكمتنا، الّتي مِن جُملتها أمرُ البعثِ"[2]، وهو أمرٌ قائمٌ متجدّدٌ، نلاحظُه في الأرحام الّتي تدفعُ في كلّ يوم بلا انقطاع، وسيبقى هذا القانونُ المُطّردُ - بأمرِ اللّه وتقديرِه - إلى يوم القيامةِ.

نُكْتَةُ حذفِ مفعولِ ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾:

الحذفُ للتّعميمِ والتّفخيمِ للاستفادةِ والاقتناعِ

في قوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾، ذكرَ الرّازيّ وجهين في تقدير المفعول المحذوفِ؛ "**أحَدُهُما:** لِنُبَيِّنَ لَكُمْ أنَّ تَغْييرَ المُضْغَةِ إلى المُخَلَّقَةِ، هو باخْتيارِ الفاعِلِ المُخْتارِ، ولولاهُ لَما صارَ بَعْضُهُ مُخَلَّقًا وبَعْضُهُ غَيْرَ مُخَلَّقٍ، **وثانيهما:** التَّقْديرُ: (إنْ كُنْتُمْ في ريبٍ مِنَ البَعْثِ فَإنّا أخْبَرْناكُمْ أنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ كَذا وكَذا؛ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ما يُزيلُ عَنْكُمْ ذَلِكَ الرَّيْبَ في أمْرِ بَعْثِكُمْ، فَإنَّ القادِرَ على هذه الأشْياءِ كَيْفَ يَكونُ عاجِزًا عَنِ الإعادَةِ)"[3].

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 533.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 17/ 89.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 204.

ثـمّ يعيده وهو أهون عليه

وأضاف أبو السّعود: "وتركُ المفعولِ لتفخيمِه كمًّا وكيفًا، أي: خلقناكُم على هذا النَّمطِ البديعِ لنبيّن لكم بذلك ما لا تحصرُه العبارةُ مِنَ الحقائقِ والدَّقائقِ، الّتي مِن جُملتها سِرُّ البعثِ، فإنَّ مَن تأمَّل فيما ذُكِر مِنَ الخَلْقِ التّدريجيِّ تأمُّلًا حقيقيًّا، جزمَ جَزْمًا ضروريًّا بأنَّ على خَلْقِ البشرِ أوّلًا مِن تراب لم يشَمَّ رائحةَ الحياةِ قَطُّ، وإنشائِه على وجهٍ مصحِّحٌ لتوليدِ مثلِه مرَّةً بعد أُخرى، بتصريفِه في أطوارِ الخلقةِ، وتحويلِه مِنْ حالٍ إلى حالٍ، مع ما بينَ تلك الأطوارِ والأحوالِ مِنَ المُخالفةِ والتَّباينِ، فهو قادرٌ على إعادتِه، بل هو أهون في القياسِ، نظرًا إلى الفاعلِ والقابلِ"[1]، يقول الأندونيسيّ: "وفيه عدولٌ عنِ الماضي، فالنّسق قبلُ ماضٍ؛ لاستحضار الصّورة، ومعمول ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾ محذوف للعموم، والمراد: لنبيّن لكم إمكانَ البعثِ بذِكْر النّظير"[2].

نُكْتَةُ تقديمِ التّبيين على الإقرار والإخراج:

التّبيينُ مسلكٌ في البلاغ مبينٌ

يقول أبو السّعود: "وتقديمُ التَّبيينِ على ما بعدَهُ، مع أنَّ حصولَه بالفعلِ بعد الكلّ؛ للإيذان بأنَّه غايةُ الغاياتِ ومقصودٌ بالذّات"[3]، والمرادُ: تبيانُ ما يرفع اللّبسَ، ويزيلُ عنكم الشّكوكَ المكتنفةَ في أمر البعث، إذِ المنطقُ يقتضي أنّ مَن خلقه أوّلَ مرّة، قادرٌ على بعثه ثانيةً، وعليه: فنحن نقرُّ في الأرحام ما نشاء إقرارَه، حتّى يكتملَ ويخرجَ إلى الدّنيا بشرًا سويّا، وذلك الإقرارُ والإخراج قَدَرُ اللّهِ القادرِ، وحِكْمةُ الخالق الأزليّةُ، الّتي لا يُعجزُها شيءٌ في الأرض ولا في السّماء.

معنى الواو في قوله: ﴿وَنُقِرُّ﴾:

بيانُ أنّ معانيَ حـــرفِ المعنى بحسبِ معاني الآيةِ

الواوُ إمّا أن تكون عاطفةً على قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 94.
(2) الأندونيسيّ، الشّامل في بلاغة القرآن: 2/ 310.
(3) الأندونيسيّ، الشّامل في بلاغة القرآن: 2/ 310.

وعُدِلَ عنِ الفعل الماضي إلى المضارع؛ للدّلالة على استحضار تلك الحالةِ، لِما فيها مِنَ المشابهة واستقرارِ الأجساد في الأجداث، ثمّ إخراجِها منها بالبعث[1]، وإمّا أن تكونَ استئنافيّةً، فهو "استئنافٌ مَسوقٌ لبيانِ حالِهم بعد تمامِ خلقِهم، وعدمُ نظمِ هذا وما عُطف عليه في سِلْكِ الخَلْقِ المُعَلّل بالتّبيّن، مع كونِهما مِن متمّماتِه ومِن مبادي التَّبيين أيضًا؛ لِما أنَّ دلالةَ الأوّلِ عَلى كمالِ قدرتِه تعالى على جميعِ المقدورات، الّتي منْ جُملتها البعثُ المبحوثُ عنه، أجلى وأظهرُ، أي: ونحنُ نقرُّ في الأرحامِ بعد ذلك ما نشاءُ أن نقرَّه فيها"[2].

دلالةُ التّعبير بـ﴿وَنُقِرُّ﴾ مادّةً وصيغةً:

التّعبيرُ بالفعل المضارعِ لاستحضار الصّورة والتّجدّدِ

يُقال: قَرَّ في مكانه يَقِرُّ قَرارًا، إذا ثبتَ ثُبوتًا جامدًا، وأصلُه: مِنَ القُرِّ، وهو البرد، وهو يقتضي السّكون، والحَرُّ يقتضي الحركةَ[3]، ولذلك سمّى القرآنُ الكريم الرَّحِمَ بأنّه قرارٌ مكين، فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ [المؤمنون: 12 - 13]، والتّعبيرُ بالمضارع هنا يفيدُ استحضارَ الصّورة، فضلًا عنِ التّجدّدِ الاستمراريِّ لهذا الحِفظ.

دلالةُ (أل) في لفظِ ﴿ٱلْأَرْحَامِ﴾:

كـلُّ الأرحـام صـالـحـةٌ لاستنباتِ الحياة بقُدرةِ ربّ الأرض والسّماوات

قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾، أفاد التّعريفُ هنا الجنسيّةَ الاستغراقيّةَ؛ لتعمَّ كلَّ الأرحام، سواء أكانت للنّاس أو لكلّ مَن تحمّل برحِمها، والرَّحِمُ علاقةٌ ووشيجةٌ، تحتضنُ بذرةَ الحياة، ومراحلَ التّكوينِ للخَلْقِ الإلهيّ للإنسان، وتجمعُ علائقَ القُربى، والأصلُ أن يبرز دورُ الأرحام في تحقيق وجودِ الأنام، وجيء بلفظِ ﴿ٱلْأَرْحَامِ﴾ للدّلالة على أنّ ما استقرَّ فيها إلى نهاية التّكوين، هو الّذي يخرجُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 199.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 94.
(3) الرّاغب، المفردات: (قرّ).

للحياة، ويواصلُ المراحلَ المتبقّاةَ، وما سقط قبلَ انتهاءِ التّكوين فهو كالعدمِ الّذي لا معنى له.

سِرُّ تقديم شبْهِ الجملة ﴿فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾:

قُدّم شبْهُ الجملة على مفعول ﴿وَنُقِرُّ﴾؛ للعناية بهذا الجنين في بطن أُمِّه، ولبيانِ حفظِ الله تعالى له، ورعايةُ اللهِ للجنين، هو اصطناعٌ على عين العليّ القادرِ، الّذي أوجد عواملَ حفظِه مِنَ الاندثار، ووقايتِه مِنَ الأخطار، فلا يلحقُه أذًى رغم أنّه مُحاطٌ بالمخاطر، في ظلمةِ الرّحم المُطبِقة.

مَن رَعتْهُ العنايةُ فلا خوف عليه مِنَ الإذايةِ

نُكْتَةُ التّعبير بالاسمِ الموصولِ وصلتِه في الآية:

قوله: ﴿مَا نَشَآءُ﴾، أفاد التّعبيرُ بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ العمومَ والإبهامَ، لِمَنِ اقتضتِ المشيئةُ حفظَه، أي: نقرُّ فيها مَن شئنا أن نحفظَه، فضلًا عن دلالة الاسم الموصول على تفخيم شأنِه، وتهويل أمرِه، والتّعبيرُ بجملةِ صلةِ الموصول بالمضارعيّة؛ للدّلالة على تجدُّد هذا الحفظ والرّعاية، وحُذف مفعولُها، وهو الضّميرُ العائد؛ إيجازًا لدلالة ما قبْلَه عليه.

الموصوليّةُ ذاتُ أثرٍ في الدّلالة مفيدٍ

دلالةُ تَكرار التّعبيرِ بضمير العَظَمةِ في الآية:

تكرّر ضميرُ العَظَمة في قوله: ﴿خَلَقْنَٰكُم﴾، و﴿لِّنُبَيِّنَ﴾، ﴿وَنُقِرُّ﴾، و﴿نَشَآءُ﴾، و﴿نُخْرِجُكُمْ﴾، و﴿أَنزَلْنَا﴾، وذلك لأنّ الأمر متعلّقٌ بمراحل خلْقِ الإنسان وأطواره الّتي جاءت تدليلًا على البعث، فاستحقّ الأمرُ أن يكون إسنادُ الأفعال فيها لضمير العَظَمةِ مباشرةً؛ لتفخيم شأنِها.

كلُّ فعلٍ مِنَ العظيمِ عظيمٌ

نُكْتَةُ تنكيرِ لفظ ﴿أَجَلٍ﴾:

نُكّرَ الأجلُ للتّعميم؛ لأنّ مُدَدَ البقاءِ في الأرحام متفاوتةٌ، يقول أبو السّعود: "﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، هو وقت الوضع، وأدناهُ ستّةُ أشهرٍ، وأقصاهُ سنتانِ، وقيل: أربعُ سنين، وفيه إشارةٌ إلى أنّ بعضَ ما في الأرحامِ، لا يشاءُ اللهُ تعالى إقرارَه فيها بعد تكاملِ خلقِه فتُسقطُه"[1].

كلُّ مخلوقٍ منوطٌ بأجلِه في الحياة والموت

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 94.

سِرُّ بناءِ لفظِ ﴿مُّسَمًّى﴾ للمفعول:

جاء قولُه: ﴿مُّسَمًّى﴾ مبنيًّا للمفعول؛ للعلم بالفاعل، فاللّه تعالى هو الّذي سمّى أجلَه وقدّره في علمه اللَّدُنّيّ، فحُذِف الفاعلُ للإيجاز مِن ناحية، ولدعوتِهم للانشغال بشأن الخَلْق عن خالقه؛ لأنّ أمرَ خالق الإنسان فوقَ مقدورِهم واستطاعتهم.

لا أحـدَ يـنـازعُ اللهَ في الإحياء والإماتةِ

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالمضارع في قوله: ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾:

أفاد التّعبيرُ بالفعل المضارع التّجدُّدَ الاستمراريَّ؛ لأنّ هذا الأمرَ قائمٌ ومستمرٌّ ما دامتِ الحياةُ، فضلًا عمّا فيه مِن استحضار الصّورة.

لا ينقطعُ مَددُ اللـه بـإيـجـاد الـبـشـرِ عـلى الدّوام

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالإفرادِ في قوله: ﴿طِفْلًا﴾:

يقول الآلوسيّ في تعليل الإفراد: "والإفراد إمّا باعتبار كلِّ واحد منهم، أو بإرادة الجنس الصّادقِ على الكثير، أيّ: أنّه اسمُ جنس، أو لأنّه مصدرٌ فيستوي فيه الواحد وغيرُه، أو لأنّ المرادَ طفلًا طفلًا فاختصر"[1]، ولا شكّ بأنّ الإفراد يدلُّ على العناية بهؤلاء الأطفال كلٌّ على حِدَةٍ.

ذِكْرُ الطّفولةِ في البيان اهتمامٌ بجنسِها على الدّوامِ

دلالةُ الموقعِ النّحويِّ للفظِ ﴿طِفْلًا﴾:

﴿طِفْلًا﴾ حالٌ مِنْ مفعول ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾[2]، على معنى: نُخرجكم مِن بطون أمّهاتِكم حالَ كونِكُم صرتُم أطفالًا، تستطيعون العيشَ خارجَ الأرحام.

اخـتـيـارُ مـوقـعِ اللّفظِ مهمٌّ في التّعبير الـدّلاليّ المفيدِ

نُكْتَةُ إعادةِ لامِ التّعليل في ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ﴾:

إعادة اللّام في ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ﴾ مع تجريدِ الأوّلين عنها ﴿وَنُقِرُّ﴾ ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾؛ للإشعارِ بأصالتِه في الغرضيَّةِ بالنّسبةِ إليهما، إذْ عليه يدورُ التّكليفُ المُؤدّي إلى السّعادةِ والشّقاوةِ[3]، وهي بتكرارها

بلوغُ الأشُدِّ هو مناطُ المسؤوليّةِ والجزاءِ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 113.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 8/ 232.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 94.

تُجَدِّدُ ارتباطَ كلِّ مرحلة بالعُمُر المفترض، وأنّ بلوغَ الرّشد منعطفٌ مهمٌّ في حياة الإنسان، حيثُ يبدأ التّكليفُ، وتُناط بالمَرء المسؤوليّةُ، وتلزمُه العقوبةُ حالَ وقوعِ الخطأ أوِ الجريمة.

فائدةُ إسنادِ البلوغِ إلى ضمير المخاطَب:

للضّمائرِ أثرٌ في المعنى مِن حيثُ النّوعُ والعددُ

عدلتِ الجملةُ عن نسقِ الأفعال السّابقة في إسنادها إلى اللّه، وأسنَدتِ البلوغَ إليهم هنا، مع أنّه لا يكون دون مشيئتِه سبحانه وتعالى؛ لأنَّه المناسبُ لبيانِ حالِ اتّصافِهم بالكمالِ، واستقلالِهم بمبدئيّةِ الآثارِ والأفعالِ[1].

فائدةُ التّعبير بالأشُدّ:

بلوغُ الأشُـدِّ هو الغايةُ مِن تطوّر الخلقِ الإنسانيّ

جُعل بلوغُ الأشدّ عِلّةً لإخراجهم أطفالًا؛ لأنّه أقوى أطوارِ الإنسان، وأجلَى مظاهرِ مواهبِه في الجسم والعقل، كما قال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: 15]، وهو الجانب الأهمُّ، كما أومأ قولُه بعدَ هذا ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾، فجَعَل الأشُدَّ كأنّه الغايةُ المقصودةُ مِنَ تطويره[2].

دلالةُ قوله: ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ﴾ على المحذوف:

بتقدير المَحذوفِ في الذّهن يتجلّى المعنى ويكتملُ

يقول أبو السُّعود عنِ الجملة السّابقة: "عِلّةٌ لـ ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ معطوفةٌ على عِلةٍ أُخرى له مناسبةٍ لها، كأنّه قيل: ثمَّ نُخرجُكم لتكبروا شيئًا فشيئًا، ثمّ لتبلغوا كمالَكم في القوة والعقل والتَّمييز"[3].

معنى الواو في قوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾:

تنوّعُ دلالاتِ حرفِ المعنى بحسبِ المعاني المُرادةِ

الواو إمّا أن تكون عاطفةً على قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾، وإمّا أن تكون استئنافيّةً، شَرعَت بوصف حالةٍ جديدةٍ، يقول الآلوسيّ عنها: "استئنافٌ لبيان أقسام الإخراج مِنَ الرّحِم،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 94.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 94.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 94.

كما استوفى أقسامَ الأوّل، وفيه تبْيين تفضيلِ حالِ بلوغ الأشُدّ، وأنّها الحقيقُ بأن تكون مقصودةً مِنَ الإنشاء، لكنْ منهم مِن لا يصلُ إليها فيُحْتَضرُ، ومنهم مَن يجاوزُها فيُحْتَقرُ"[1]، ويمكنُ أيضًا أن تكون الواو للاعتراض، حيثُ جيءَ بقَوْلِه: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾، على وجْهِ الاعْتِراضِ؛ اسْتِقْراءً لأحْوالِ الأطْوارِ الدّالَّةِ على عَظيمِ القُدْرَةِ والحِكْمَةِ الإلَهيةِ، مَعَ التَّنْبيهِ على تَخَلُّلِ الوُجودِ والعَدَمِ أطْوارَ الإنْسانِ بَدْءًا ونِهايَةً، كَما يَقْتَضيهِ مَقامُ الاسْتِدْلالِ على البَعْثِ، والمَعْنَى: (ومِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى قَبْلَ بُلوغِ بَعْضِ الأطْوارِ)[2].

معنى (مِن) ونُكْتَةُ تقديم ﴿وَمِنكُم﴾:

تقديمُ ما به العنايةُ والاهتمامُ آثَرُ في البيان

(مِن) هنا تبعيضيّةٌ، على معنى: أنّ بعضَهم مَن يُتَوفّى وليس جميعُهم، وقد أفاد تقديمُ شِبهِ الجملة الخبريّة على المبتدأ (مَنْ) العنايةَ والرّعايةَ بالمُخاطَبين؛ لأنّ الآية سيقت لهم دليلًا على إثبات الوحي، فاقتضى الأمرُ أن يُقَدِّم النّصُّ ما هم ببيانِه أعنى، وهو لهم أهمُّ.

نُكْتَةُ التّعبيرِ بما لم يُسمّ فاعلُه ﴿يُتَوَفَّىٰ﴾:

الدّعوةُ لانشغال بالفعل عن فاعله مُبِينَةٌ عنِ المُرَاد

بناءُ الفعل لِما لم يُسَمّ فاعلُه في قوله: ﴿مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾؛ لأنّ الفاعل معروفٌ ومُقَرّرٌ، وإنّما عليهم أن ينشغلوا بما هو أنفعُ لهم، وهو حصولُ الوفاة لهم، يقول أبو السّعود: "والتَّوفّي على صيغةِ المبنيِّ للمفعولِ، للجَري على سنَنِ الكبرياءِ، لتعيين الفاعلِ"[3].

معنى (الواو) و(من) في قوله: ﴿وَمِنكُم﴾:

طولُ السّلامة قَدَرٌ وكلُّ منيّة بقضاء

قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ﴾، الواو هنا عاطفةٌ، عَطَفت هذه الجملةَ على قوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾، و(مِن) هنا تبعيضيّةٌ، على معنى: أنّ بعضَهم مَن يُتَوفّى، وليس جميعُهم.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 114.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 201.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 95.

غرضُ التّعبير بالاسمِ الموصول وصلتِه:

أرذل العُمُرِ سَقَمٌ مُفْسِدٌ وهَرَمٌ مُفَنِّدٌ

قولُه تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾، التّعبيرُ بالاسمِ الموصول هنا للتّعميم؛ لأنّ تحديدَ مَن يُرَدُّ إلى أرذل العمر ليس مِن منهج القرآن، ولا مُرادًا مِن سياق الآية، وجاءت جملةُ صلةِ الموصول فعليّةً؛ لتدلَّ على تجَدُّدِ هذا الحال.

دلالةُ التّعبير بـ ﴿يُرَدُّ﴾ مادّةً وصيغةً:

الـرّدُّ إلى أرذل العُمُر بلادٌ لا يتمنّاه العاقلُ

قوله تعالى: ﴿مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾، الارتدادُ: الرّجوع، والاسمُ منه الرِّدَّةُ بالكسر، وكلُّ ما في القرآن مِنَ التّركيب فهو بمعنى الرّجوع والإرجاعِ[1]، وبناءُ الفعل لِما لم يُسَمّ فاعلُه؛ لأنّ الفاعل معروفٌ ومُقَرَّرٌ، وإنّما عليهم أن ينشغلوا بما هو أنفع لهم إذا وصلوا لمثل هذه الحالة في آخر العُمُر، و"الحَقّ سبحانَه جعلها نماذجَ؛ حتّى لا نقول: يا ليتَ أعمارَنا تطولُ؛ لأنّ أعمارَ الجميع لو طالتْ إلى أرذَلِ العمر لأصبح الأمرُ صعبًا علينا، فمِن رحمة الله بنا أنْ خلقَ الموتَ"[2].

نُكْتَةُ إسناد لفظِ ﴿أَرْذَلِ﴾ إلى ﴿ٱلْعُمُرِ﴾:

أرذَلُ العُمُرِ نَكْسَةٌ في الخَلْق وبَلاء في الحالِ

أسندَ القرآنُ الشّيخوخةَ والهرمَ إلى العُمُر، والمرادُ الشّخصُ المُعَمَّرُ، على سبيل المجاز العقليِّ لعلاقة السّببيّة؛ لأنّ تقدّمَ العُمُرِ هو السّببُ في هذه الحالة؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۚ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: 68].

معنى اللّام في قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ﴾:

عِلّةُ ذَمّ أرذل العمر ذهابُ العِلْم كُلّيّةً

يقول الآلوسيّ: "واللّامُ متعلّقةٌ بـ ﴿يُرَدُّ﴾، وهي لام العاقبةِ، والمرادُ: المبالغةُ في انتقاص علمِه، وانتكاس حالِه، وليس لزمان ذلك الرَّدّ حَدٌّ محدودٌ، بل هو مختلِف باختلاف الأمزجةِ[3].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ردد).
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 16/ 9706.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 114.

معنى ﴿مِنۢ﴾ في قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ﴾:

أشدّ الهوان ذِلّةُ المَـرءِ وجهالتُه بـعـدَ عِـلْـمِـه ومكانتِه

و﴿مِنۢ﴾ الدّاخِلَةُ على ﴿بَعۡدِ﴾ هُنا مَزيدَةٌ لِلتَّأكيد، أوْ هي لِلابْتِداء عِنْدَ الجُمْهورِ، وهو ابْتِداءٌ صوري يُساوي مَعْنَى التَّأكيدِ[1]، والانتقالُ مِنَ العِلْم والقوةِ الذّهنيّة إلى عدم العِلْم، هو أخسُّ العُمُر وأدْوَنُه، "فيصيرُ مِن بعد عِلْمه بالأشياء وفَهْمِه لها، لا عِلْمَ له ولا فَهْمَ، شأنُه في ذلك شأنُ الأطفال"[2].

بلاغةُ المتشابهِ اللّفظيّ بين سورتَي النّحلِ والحجّ:

سياقُ آيةِ الحجّ أدقُّ في تصوير مراحلِ الخَلْقِ

جاء قولُه تعالى في سورة النّحل: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠﴾ [النّحل: 70] بدون (من) الموجودةِ هنا، وفي ذلك يقول ابنُ الزّبير: "للسّائل أن يسألَ عن زيادة ﴿مِنۢ﴾ في قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾، وسقوطِها من آية النّحل مع اتّحاد المعنى، هل ذلك لسبب حاملٍ يقتضي زيادتَها هنا، وسقوطَها هناك؟.

والجوابُ: أنّ سببَ ذلك – والله أعلم – التّناسبُ وتشاكلُ النّظم ومراعاةُ اللّفظِ، ألا ترى إلى تكرّر (مِن) في آية الحجّ، فقد تكرّرت لفظةُ (من) في ستّة مواضعَ، الخمسةُ منها قبل قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾، والواحدةُ بعدَها، وكلّها مُحْرِزةٌ معناها الّذي جيء بها مِن أجله، إلّا الّتي في قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾، إذِ النّظمُ مع سقوطها ملتئمٌ، والمعنى تامٌّ، فاستوى وجودُها وعدمُها، فاستعارها سياقُ آية الحجّ للتّشاكل والتّناسب في النّظم، ولم يكن في آية النّحل ما يستدعيها، إذ لم يَرد ما يقتضيها، فورد كلٌّ على ما يجبُ ويناسبُ"[3]، ويمكنُ أن يُضاف إلى ما تقدّم: أنّ آية سورةِ الحجّ جاءت في معرضِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 202.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 281.
(3) ابن الزّبير الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 2/ 303.

الاستعراض الدّقيقِ لمراحل الخلق، بتفصيلٍ انفردت فيه سورةُ الحجّ، فاقتضى ذلك وجودَ (مِن) فيها؛ لمزيدٍ مِنَ التّوكيد في النّفي، للعِلْم في هذه المرحلة.

نُكْتَةُ تنكيرِ لفظِ ﴿شَيْـًٔا﴾ في السّياق:

الشّيخوخةُ آفاتٌ وضررٌ والنّسيانُ فيها أدهى وأمَرُّ

في قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾، جاءت ﴿شَيْـًٔا﴾ نكرةً، والنّكرةُ إذا وقعت في سياق النّفي أفادتِ العمومَ، والمعنى: (لا يعلمُ شيئًا مهما كان، فلا يستفيدُ علمًا جديدًا، بل إنّ علمَه يتناقصُ، حتّى يبدأ بنسيان العاداتِ المألوفةِ)، قال أبو السّعود: "أي: شيئًا مِنَ الأشياءِ، أو شيئًا مِنَ العلمِ، مبالغةً في انتقاص عِلْمِه، وانتكاس حاله، أي: ليعودَ إلى ما كان عليهِ في أوان الطّفوليّة، مِن ضعفِ البنيَة، وسخافةِ العقل، وقلّة الفهم، فينسَى ما علمِه، ويُنكر ما عرفَهُ، ويعجزُ عمّا قدرَ عليه"[1].

بلاغةُ المتشابهِ اللّفظيّ بين سورتَي الحجّ وغافر:

يمتازُ سياقُ آية سـورةِ الحـجّ بإثبات وقـوعِ البعث وتحقُّقِه

في سورة المؤمن جاء قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: 67]، بينما في الحجّ: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، ولم يقع في غافر التّعريفُ بهذه الأحوال مِنَ الانتقال عنِ العلقة، بقوله: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾، أي: تامّةَ الخلق وغيرَ تامّة، فأشار تضعيفُ لفظ مخلّقةٍ إلى هذا، فقيل: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾، أمّا السّقطُ المولود لغير التّمام، فحصل من مفهوم قوله تعالى بعدُ: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فهذه الانتقالاتُ والأحوالُ قدِ اختصّت بها هذه الآيةُ، ولم تَرِد في آية سورة المؤمن،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 95.

مع البادي في اتّحاد المقصودِ في الموضوعين، فلسائلٍ أن يسأل عن وجه ما ورد في الآيتين؟

والجواب، والله أعلم: أنّ آية سورة الحجّ مقصودٌ فيها إقامةُ البرهان على البعث الأخرويِّ، وبسطُ الدّلالات على كيفيَّتِه، وإرغامُ منكريه، ألا ترى أنّ هذه الأحوالَ والانتقالاتِ، على ما وضحَ مِنَ التّدريج، لا تكونُ إلّا مِن فاعل قادرٍ مختارٍ عليمٍ حكيم، ويزيدُ هذا المقصودَ - أيضًا - بيانًا، تعقيبُ آيةِ الحجّ بقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾، فهذا إحياءٌ بعد الموت، ثمّ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحجّ: 6]، فتأمّلْ هذا التّعقيبَ، وافتتاحَ الآية بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾، واعتَبِر ما انطوت عليه هذه الآيُ، يَلُحْ لكَ ما تقدّم مِن مقصودِها، أمّا آيةُ سورةِ المؤمن فلم تتجرّد لهذا الغرض، وإن تضمّنت ذلك بالإيجاز، وإنّما بناؤها على تذكير الخَلْق وتنبيههم على وحدانيّته سبحانَه، وانفرادِه بالخَلْق والأمر، وتنزيهِهِ عنِ الشّركاء والأنداد، ونفْيِ ما عُبِدَ مِن دونه تعالى، وإنّما اختصّت عن آية سورة الحجّ بما ذكرنا، واختصّت تلك بما تقدّم، فلذلك زيدَ فيها مِنَ التّفصيل ما تقدّم، ولم يكنِ العكسُ ليناسبَ، والله أعلمُ بما أراد[1].

بلاغةُ المتشابهِ اللّفظيّ بين سورتَي الحجّ والمؤمنون:

تناسبُ ذِكْر مراحل الخلقِ مع السّياقاتِ المتنوّعةِ

في سورة المؤمنون جاء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون: 12 -

(1) ابن الزّبير، ملاك التّأويل: 2/ 357_358.

16]، فقد بدأت سورةُ المؤمنون بمرحلة الطّين، وهي تأتي بعد مرحلة التّراب التّي ذكرتها سورةُ الحجّ، بيدَ أنّه بعد مرحلة العلقة في سورة المؤمنون كان العطفُ بين هذه المراحل بالفاءات، الّتي تُفيد التّرتيبَ والتّعقيبَ السّريعَ، بخلاف آية الحجّ، ولم تأت آياتُ المؤمنون على وصف المُضغة بالتّخليق وعدمِه، كما فعلت آيةُ الحجّ، وزادت بأنّ العظام كُسيت لحمًا، وأنّه أصبح بعد ذلك خلقًا آخرَ.

وواضحٌ من سياق آيات سورة المؤمنون، أنّ ذِكْرَ مراحلِ الخَلْق لم يُقصَد فيه ذِكْرُ مراحل الخَلْق كاملةً؛ ليتناسبَ ذلك مع سياق الآيات فيها، في ذِكْر مظاهرِ قدرةِ اللّه في الكون، بينما نجدُ أنّ سياق آيةِ الحجّ، كان في الاستدلال على البعث؛ لذلك ذُكِرت مراحلُ خَلْق الإنسان كاملةً، حتّى بعد خروجه مِن رَحِم أُمّه، وفُصِل بين هذه المراحل بـ﴿ثُمَّ﴾ الّتي أعطت كلّ مرحلةٍ خصوصيّتَها واستقلالَها؛ للدّلالة على أنّ مَن خَلَق الإنسانَ وفْق هذه الدّقّة المتناهية، والمراحلِ المختلفة، قادرٌ على أن يبعثَه بعد موته.

معنى الواو في جملة: ﴿وَتَرَى﴾:

قولُه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾، الواو هنا عاطفةٌ، عطفت هذه الجملةَ على قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾، ومُسَوّغ العطفِ الاشتراكُ بينهما في كون الأولى تناولت الأدلّةَ الأنفسيّةَ على البعث، وهذه تناولت الأدلّةَ الآفاقيّةَ[1].

الأدلّةُ على الأنفس والآفاق دالّةٌ على أنّ البعث حقٌّ

دلالةُ الخِطاب بـ﴿وَتَرَى﴾ والمخاطَبُ فيه:

الخطابُ هنا لكلِّ أحدٍ ممَّن يتأتّى منه الرّؤيةُ، وصيغةُ المضارع للدّلالة على التَّجدُّدِ والاستمرارِ، وهي بصريةٌ[2].

بيانُ أنّ رؤيةَ ظواهرِ الكون بصريّةٌ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 114.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 95.

معنى (أل) في ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾:

كلُّ ما في ظاهر الأرض وباطنِها دالٌّ على قدرةِ الله وجلالِه

التّعريف هنا للعهد الذّهنيّ، والمرادُ بها الأرضُ الّتي نعرفُها، والتي تخضرُّ عند نزول الغيث، وخلاصةُ العرض: كونُ الدّليل على البعث قولُه: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً﴾ ميّتةً يابسةً، ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾ وتحرّكت بالنّبات وانتفخت، ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ﴾ صنفٍ حسنٍ رائقٍ، يسرُّ ناظِرَه[1].

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالهمودِ في آية الحجّ والخشوعِ في فصّلت:

كلُّ لفظةٍ جاءت مكينةً مُستقرّةً في مكانها

جاء في سورة فصّلت قولُه تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ [فصلت: 39]، وهنا في سورة الحجّ: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً﴾، ولا شكّ أنّ لفظةَ الهمود، دلّت على خُلوّ الحيّ مِنَ الحياة، وغيرِ الحيّ مِن حقيقته ومعنى وجودِه، وهذا ملائمٌ للاستدلال على بعث الله تعالى لهذه الأرض بعد هُمودها، وهو أدلُّ في الاستدلال على البعث، بينما نجدُ أنّ لفظةَ الخشوع في سورة فصّلت قد تناسبت وتناغمت مع جوّ العبادةِ والخشوع والسّجودِ فيها، فقد سبقَها قولُه تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ٣٨﴾ [فصلت: 37 - 38]، فكلُّ لفظةٍ جاءت ملائمةً لسياقها الّذي وردت فيه، ولو أُبدلت لفظةٌ منهما مكانَ أُختها لذهبَ الرّونقُ، ولفسدَ المعنى.

والعُدولُ عنِ اللّفظ الأصليّ المتوقّعِ ابتداءً، وهو (السّكون والحركة)، إلى (الهمود والاهتزاز) يُسمّى فنَّ الإرداف؛ لأنّ العدولَ

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 513.

إلى الرّديف للمُلاءمةِ؛ لأنّ (الهمود) سكونٌ مع موت، و(الاهتزاز) مُشعِرٌ بالحياة والانبعاث بعد الموت.

الموقعُ الإعرابيُّ لقوله: ﴿هَامِدَةً﴾:

﴿هَامِدَةً﴾ حالٌ مِنَ الأرضِ، والمعنى: (وتراها في حال كونِها خاليةً مِن مظاهر الحياة)، وهو تصويرٌ يبيّنُ اللّه تعالى فيه ما يقعُ مِن تغييرٍ للأحياء مِن حال إلى حالٍ، وهو ما صوّر به الأرضَ حالةَ همودها، وما يُلمحُ عليها مِن يُبوسة وجُمود، فإذا نزل عليها الماءُ مِنَ السّماء، اهتزّت بالحياة، وتغيّرت مِن حالة الهمود والجمودِ، إلى حالة الحياة والنّماءِ والعطاء، والخطابُ في هذا السّياق لكلِّ مَن هو مؤهّلٌ للخطاب؛ وهو استدلالٌ ناصعٌ جليٌّ وبليغٌ، على قُدرة اللّه تعالى، الّذي يُخرجُ الحيّ مِنَ الميّت، ويُحيي الأرضَ بعدَ موتها.

الهمودُ دليلُ الحالةِ المقابِلَة للنّموِّ والحياةِ

نُكْتَةُ التّعبيرِ بالجملةِ الشّرطيّةِ:

التّعبيرُ بالجملةِ الشّرطيّةِ أدلُّ على مقصودِه مِنَ الجملة الخبريّة العاديّة؛ لأنّه يعلّقُ جوابًا على فعل الشّرط، أو يربطُ بين سببٍ ونتيجةٍ، وهنا علّقَ اهتزازَ الأرضِ وارتفاعَها بنزول الماء.

بيانُ ارتباط جوابِ الشّرط بتحقُّق فعْلِه

نُكْتَةُ التّعبيرِ بـ(إذا) دون (إنْ):

في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾، جاءت (إذا) وهي ظرفٌ مستقبلٌ في محلّ نصبٍ بجوابه، متضمِّنٌ معنى الشّرط؛ لأنّها تأتي مع الأمر المحقّقِ، ونزولُ الماءِ عليها بشرى لهم بأنّه أمرٌ محقّق.

بشرَى للمؤمنين بتحقُّقِ نزولِ الماء الّذي به الحياةُ

نُكْتَةُ المَجاز في إسناد الاهتزازِ إلى الأرض:

المرادُ باهتزاز الأرض: هو تحرُّكُ نباتِها، أوِ انفصالُ بعضِ أجزائها عن بعض؛ لأجل خروجِ النّبات، وفي كلا المعنيَيْن هناك مجازٌ عقليٌّ في إسناد الاهتزاز لِمَن لم يقعْ منه، فاللّهُ تعالى هو الَّذي يُحرّكها ويحرّكُ نباتَها، ويمكن أن يكون تشبيهُ الأرضِ بالنّائم الّذي تحرّك، على سبيل الاستعارة التّبعيّة[1].

إسنادُ الاهتزازِ إلى الأرض صورةٌ موحية بالمُرادِ

(1) الأندونيسيّ، الشّامل في بلاغة القرآن: 2/ 311.

توجيهُ القراءاتِ القرآنيّةِ في قوله: ﴿وَرَبَتْ﴾:

تتكاملُ القراءتان المتواترتان في تجليةِ المعنى

قرأ أبو جعفر بهمزة مفتوحةٍ بعد الباء الموحّدة ﴿وَرَبَّتْ﴾، وقرأ الباقون بحذف الهمزة[1]، و﴿وَرَبَتْ﴾ أي: زادَت، مِنْ رَبا يَرْبو، و﴿وَرَبَّتْ﴾ بالهمزِ أي: ارتفَعَتْ، من: رَبَأَتِ الأَرضُ ترْبأُ رَباءً: زكَتْ وارْتَفَعَتْ[2]، وكِلا القراءتيْن تُكمِلان بعضَهما؛ فإنّ ارتفاعَها ناشىء عن نموِّها وازديادِها، وفي قراءة أبي جعفر مجازٌ عقليٌّ في إسناد الارتفاع لَمن لم يقعْ منه، فاللّهُ تعالى هو الَّذي رفعها، ولم ترتفع بنفسها.

معنى الواو في قوله: ﴿وَأَنْبَتَتْ﴾:

تَعْطِفُ الأفعالَ على بعضها؛ لتجلية الصّورةِ واكتمالِها

الواو هنا عاطفةٌ، عطفت حالًا على حال مِن أحوال الأرض، حيثُ عطفتِ الإنباتَ على الاهتزاز والارتفاع، وقولُه تعالى: ﴿وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾، أي: وأخرجت بالماء كلَّ نوعٍ مِن أنواع النّبات حَسَنٍ، يسرُّ ناظِرَه ذلِكَ، أي: الصّنعُ البديعُ في الإنسان والأرضِ حاصلٌ بِأنَّ اللّه هو الحَقُّ، أي: الموجودُ الثّابت، المتحقّقُ في الأُلوهيّة، فهذه الموجوداتُ دالّةٌ على وجود الصّانع، وأنَّهُ يُحْيِ المَوْتى، أي: شأنُه إحياءُ الموتى، كما أحيا الأرضَ الميّتةَ"[3].

بلاغةُ المجازِ في إسنادِ الإنبات إلى الأرض:

المرادُ مِن إسناد الإنباتِ إلى الأرض إنباتُ الله لها

في إسناد الإنباتِ إلى الأرض مجازٌ عقليٌّ حُكميٌّ[4]، فاللّه تعالى هو الّذي يُنبتها، فأُسْنِدَ الفعلُ لغير الفاعل اتّساعًا؛ لأنّ اللّه تعالى هو المُنبتُ حقيقةً لها، وفي الآية فنٌّ التّهذيبِ لِما فيها مِن حُسْن التّرتيب، لذكر نزولِ الماء، ثمّ الاهتزاز، ثمّ الرّبو، ثمّ الإنباتِ[5].

معنى ﴿مِن﴾ و﴿كُلِّ﴾ في الآية الكريمة:

روعةُ الخلقِ الإلهيِّ في التّنويع المُبْهِجِ الخَلّابِ

قولُه تعالى: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾، ﴿مِن﴾ هنا ابتدائيّةٌ، والمعنى:

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 325، وقمحاوي، طلائع البشر، ص: 332.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 8/ 234.
(3) الجاويّ، مراح لبيد: 2/ 66.
(4) الأندونيسيّ، الشامل في بلاغة القرآن: 2/ 311.
(5) الأندونيسيّ، الشامل في بلاغة القرآن: 2/ 311.

(أنبتت النّباتَ إنباتًا، يبدأ مِن كلّ زوجٍ بهيج)، وقد أفاد دخولُ ﴿كُلِّ﴾ الدّلالةَ على أنّ هذا الإنباتَ قد لَحِق كلَّ زوجٍ بهيجٍ منها، وليس لبعضِها دون بعضِها الآخر، بمعنى: "مِن كلّ صنفٍ حَسَنٍ، ولونٍ مُسْتَحْسَنٍ، سارٍّ للنّاظرين إليه، والبهجةُ: الحُسْنُ، قاله ابن عبّاس، يعني: الشّيءَ المُشْرق الجميلَ[1].

نُكْتَةُ التّعبير بلفظ ﴿زَوْجٍ﴾:

التّعبيرُ بلفظ الزّوج شَمِلَ كلَّ أصنافِ النّبات

يقول ابنُ عاشور: "الزَّوجُ: الصّنفُ منَ الأشياء، أُطلقَ عليه اسمُ الزَّوج تَشبيهًا لَهُ بالزَّوج منَ الحَيَوان، وهو صنفُ الذَّكَر وصنفُ الأُنثَى؛ لأنَّ كُلَّ فَرد من أحَد الصّنفَين يَقترنُ بالفَرد منَ الصّنف الآخَر، فَيَصيرُ زَوجًا، فَيُسَمَّى كُلُّ واحد منهُما زَوجًا بهَذا المَعنَى، ثُمَّ شاعَ إطلاقُهُ على أحَد الصّنفَين، ثُمَّ أُطلقَ على كُلّ نَوع وصنف، وإن لَم يَكُن ذَكَرًا ولا أُنثَى، فَأُطلقَ هُنا عَلَى أنواع النَّبات"[2].

نُكْتَة تنكيرِ لفظِ ﴿زَوْجٍ﴾:

النّظرُ إلى تنوّعِ المخلوقاتِ يُؤكّدُ عَظَمةَ الخالقِ

أفادَ تنكيرُ ﴿زَوْجٍ﴾ التّكثيرَ؛ لأنّ أصنافَ النّبات كثيرةٌ لا تُحصَى، ولا عجبَ أن توجَدَ فيها ألوانٌ شتّى مِنَ النّباتات البديعةِ الرّائعةِ، فهي خَلْقُ اللّهِ الّذي أتقنَ كلَّ شيءٍ، وأعطى كلَّ شيء خَلقَه ثمّ هدى.

بلاغةُ الإدماجِ في قوله: ﴿بَهِيجٍ﴾:

يمتنُّ الله على عبادِه ببهجةِ النّبات

البَهيجُ: الحَسَنُ المَنْظَر، السّارُّ لِلنّاظِر، وقَدْ سيقَ هَذا الوَصْفُ إدْماجًا لِلامْتِنان، في أثْناءِ الاسْتِدْلال؛ امْتِنانًا بِجَمالِ صورَةِ الأرْضِ المُنْبِتَةِ، لِأنَّ كَوْنَهُ بَهيجًا لا دَخْلَ لَهُ في الاسْتِدْلال، فَهو امْتِنانٌ مَحْضٌ، كَقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ [النّحل: 6]، وقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: 5][3].

(1) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان: 9/ 16.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 203.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 204.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرّيبُ والشّكُّ:

بـــين الـــرّيـــب والـشـكّ عـمـومٌ وخصوصٌ

يقول الرّاغبُ: "الشَّكُّ: اعتدالُ النّقيضين عند الإنسان وتساويهما، وذلك قد يكونُ لوجود أمارتَين متساويتَين عند النّقيضَين، أو لعدم الأمارةِ فيهما، والشَّكُّ ربّما كان في الشّيء، هل هو موجود أو غيرُ موجود؟ وربّما كان في جنسه، مِن أيّ جنس هو؟ وربّما كان في بعض صفاته، وربّما كان في الغرض الّذي لأجله أوجدَ"[1].

ويفرّق العسكريُّ بينَ الشّكّ والرّيب بقوله: "الشّكُّ: هو تردُّد الذّهنِ بين أمرين، على حدٍّ سواء، وأمّا الرّيب: فهو شكٌّ مع تهمة"[2].

الهمودُ والخمودُ:

الهمودُ أشَدُّ في خُلوه مِن مظاهر الحياة

جاء وصفُ الخُمود للقُرى الهالكةِ في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنبياء: 15]، وقولِه: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [يس: 29].

والمعنى المحوريُّ للخمود: انقطاعٌ للحادِّ الَّذي شأنُه أن ينفذَ مِنَ الشّيء، كانقطاع اللّهبِ الّذي كان ينفذُ مِنَ النّار بالدّفن أو غيره مع عدم انطفاءِ الجمر، وانقطاعِ الكلام مع بقاء القُدرة عليه، ومنه: خَمَد المريض: أُغْمي عليه أو مات[3]، بينما جاء وصفُ الأرض بالهمود في هذه الآية من سورة الحجّ، وقد تقدّم في معناه: أنّه خلوُّ الشّيء مِن قوته، أو مظاهرِ الحياة فيه، وعلى هذا: يظهرُ أنّ الهُمودَ هو أشدُّ مِنَ الخُمود؛ لأنّه خلوٌّ مِنَ القوّة بالكامل، وليس خلوًّا جزئيًّا منها.

(1) الرّاغب، المفردات: (شكك).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 264.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خمد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»